مرافعة ختامية: هل «مسألة المرأة» مهمّة حقًّا إلى هذا الحدّ؟

Hans-Jörg Ronsdorf · مايو 2021 · نُقِّح في أكتوبر 2026

نبّهتني إحدى الأخوات إلى أن هذه المسألة لا تتعلّق (فقط) باللاهوت. إنها تتعلّق بالناس. تتعلّق بالفتيات والنساء وبكرامتهنّ والاعتراف بهنّ. وأنا، بوصفي رجلًا، أنظر إلى هذا الموضوع كلّه من منظور ذكوري، لا ينقل صوت النساء مباشرة، لكنه يتكلّم لصالحهنّ.

أخشى أن هذه البنية الهرمية الدينية (التكاملية) قد جرحت أو حطّمت شيئًا في كثير من النساء. والردود القليلة على كتابي تؤكّد هذا التقدير. والأرقام غير المعلنة أكبر على الأرجح، ولا سيما حين أفكّر في الشابات والفتيات اللواتي يكبرن في مجتمع يقوم على المساواة في الحقوق، لكنهنّ في محيطهنّ الكنسي المسيحي «يُعلَّمن» بنماذج قديمة لأدوار الجنسين. كيف نتعامل مع هذا التناقض؟

الأمر لا يتعلّق ببعض الخدمات (الممنوعة)

لكي يكون الأمر واضحًا: لا يتعلّق الأمر في المقام الأول بأن النساء لا يجوز لهنّ أن يعظن أو يعلّمن أو يقدن. فكثير من النساء اعتدن ذلك على أي حال، وفقدن النظر إلى إمكانية أن يتغيّر هذا يومًا ما. وكثيرًا ما يعتبرن هذه البنى والقواعد حقيقة كتابية تخصّهنّ، ولا يعدن يشكّكن هنّ أنفسهنّ في هذه الأطروحات. لكن ينبغي أن يفعلن. وهذا ما أسمّيه صراعًا صحّيًا من أجل معرفة الحق، ولا سيما حين يظنّ المرء أن هذه المعرفة قائمة بلا منازع منذ المسيحية الأولى. وهذا ينطبق على كثير من موضوعات الكتاب المقدس. فأحيانًا يجب أن نتهجّى الموضوعات من جديد، من البداية.

السؤال الوارد في العنوان هو ردّ فعل يكاد يكون متبرّمًا من أنني، بكتابي (عنوانه: «Frauen, vergebt uns!» («أيتها النساء، سامحننا!»)) وبمقالاتي، أطرح هذه الأسئلة («النسوية») مرة بعد مرة. والسؤال يريد في رأيي أن يقول ما يلي، أو بالأحرى أن يهوّن من الأمر: للأخوات في الكنيسة وفي ملكوت الله وفي العائلة مهامّ وإمكانيات كثيرة جدًا للمشاركة في العمل ولتنمية مواهبهنّ، بحيث لا يمكن أن يكون تمييزًا ضدّهنّ ألّا يُسمح لهنّ بالوعظ أو التعليم أو القيادة. فلكلّ واحد مكانه ودوره، كما حدّده نظام الخليقة من قبل.

لكن الأمر، حين يحاول المرء أن يرى الصورة كاملة، لا يتعلّق بخدمتين أو ثلاث يُزعم أنها لا تحقّ للمرأة. إنه يتعلّق بصورة المرأة كلّها التي تقف وراء ذلك. فوراء هذا السؤال – هل هي مهمّة إلى هذا الحدّ؟ – تقف فكرة أن المرأة خُلقت معينًا (خاضعًا) لآدم، وأنها مُلحقة به أو تابعة له أو تالية له في الترتيب الهرمي. **هنا يكمن أصل المشكلة التي تعاني منها كثير من النساء (لا جميعهنّ)**. ففي الداخل، على نحو لا يُرى غالبًا من الخارج، يوجد اضطراب عميق خفيّ، شعور بالظلم. حين لا تُحترم المرأة بما هي امرأة كما يُحترم الرجل. حين يكون على المرء ألّا يفكّر بحرية، بل أن يفكّر ويتصرّف داخل حدود ناموسية (ما المسموح لي وما الممنوع)، حدود تُضفى عليها هالة من التقوى. هذه النظرة إلى دور المرأة تترك كثيرات من الأخوات في الرب مع أسئلة مُعذِّبة ومع شكوك في أنفسهنّ. يتساءلن لماذا أراد الله الأمر هكذا، ما دام يُلقَّن لهنّ أن هذه هي خطة الله. إن كان الله صالحًا وكاملًا، فلماذا تختبر النساء في الزيجات المسيحية أمورًا سيّئة، وفي الكنائس حدودًا لا يمكن للعقل السليم أن يفهمها؟ **وصايا الله صالحة دائمًا، وهو يريد أن نفهم معناها، الذي يكون (في العهد الجديد على الأقلّ) واضحًا دائمًا. أما في هذه المسألة فكلّ معقولية غائبة!**

ما يشعر به الرجال وما لا يشعرون به

هذا شعور لا نعرفه نحن الرجال على هذا النحو. فنادرًا ما يكون الرجال هم الأضعف. لقد حان الوقت لأن ندرك ذلك ونكون حسّاسين له. ففي تصوّر بعض الرجال وتفكيرهم يبدو من المستحيل أن يستطيعوا فهم مشاعر الدونيّة هذه لدى النساء.

هل السبب الحقيقي للانفعال الشديد في هذا الموضوع هو ربما الأمانة للكتاب المقدس بدرجة أقلّ، والكبرياء الشخصية بدرجة أكبر، لأن دوره القيادي وكونه الرأس صارا موضع تساؤل؟ ربما في اللاوعي فقط؟ لأن الزوجة صار لها فجأة الحقوق والواجبات نفسها التي للزوج؟ فإن كان المرء قد رأى الأمر وعاشه بطريقة أخرى طوال عقود، فإن هذه المعرفة، إن حصلت، تشبه زلزالًا. فليس المطلوب الاعتراف بالخطأ فقط، بل التهيّؤ لحياة مشتركة مختلفة. وهذا يحتاج إلى قوّة. أولًا إلى بصيرة. لكن الطريق الكتابي يقود إلى الحياة. دائمًا.

كيف نقرأ الكتاب المقدس في مسألة المرأة

لا أعرف موضوعًا مشحونًا بالعواطف إلى هذا الحدّ. كأن الأمر أمر حياة أو موت. في موضوعات مثل شخص يسوع ولاهوته وعمله الفدائي يكون هذا مفهومًا، أما في مسألة هل يجوز للنساء أن يصلّين ويتكلّمن نبويًا في العبادة (وهو ما يفترضه بولس بديهيًا، إن نظر المرء بدقّة وانتبه إلى السياق وإلى الصورة الكتابية الكبيرة الشاملة أيضًا)، فلا.

كيف نقرأ الكتاب المقدس حين يتعلّق الأمر بمسألة المرأة؟ **هل نرى الموضوع كلّه من خلال آيتين (!) من 1 تيموثاوس 2 و1 كورنثوس 14؟ أيّ تعاليم مشوّهة كانت ستنتج فعلًا لو قرأنا الكتاب المقدس وحكمنا عليه في مسائل تعليمية مهمّة أخرى بهذا التضييق، من خلال آيتين؟ ولا نضع المادة الكتابية كلّها في علاقة سليمة ومعقولة بعضها ببعض، ولا نوازن بينها. فبهذا وحده ينشأ التعليم السليم!**

عندئذ نقرأ كما قرأ الكتبة، ونظنّ أن لنا في الكتب حياة أبدية، لكننا نفوّت لقاء الذي تشهد له الكتب: المسيح (يوحنا 5: 39). فالكتاب الذي نحبّه هكذا يشهد للذي قاد النساء إلى الحرية، إلى التعلّم، إلى الاعتراف والشهادة والسجود.

لنبدأ إذن بتقدير الصورة الكاملة التي يقدّمها الكتاب المقدس عن النساء، لا بتفسيرها من خلال كلمتين لبولس أُسيء فهمهما.

الإحساس الداخلي

كثير من النساء يشعرن، حين يقرأن الكتاب المقدس، وحين يرين يسوع وكيف تعامل مع النساء، بأن شيئًا ما ليس على ما يرام. ويزداد الأمر صعوبة عليهنّ حين يرين كيف يفشل الرجال الذين ينبغي أو يريدون أن يقودوا ويكونوا الرأس. مع أنه يُفترض أن الله ائتمنهم هم بالذات على هذا الدور، لا ائتمنهنّ هنّ. ومع ذلك كم مرة تُخرج الزوجات الكستناء من النار.

هذا ما ألاحظه في الردود على كتابي. **يبدو أن عنوان الكتاب يملأ فراغًا هائل الحجم. أكبر مما ظننت حين اخترت هذا العنوان.**

أعرف طبعًا زيجات – بقدر ما يمكن ذلك حتى للمقرّبين – تُعاش فيها هذه الهرمية بمحبّة. ولكن هل هذا دليل على أن الهرمية عندئذ صحيحة ومقدّسة؟ بالتأكيد لا. فكم من الأمور الخاطئة نفكّر فيها ونفعلها ونحن نظنّها صحيحة، لأنها تنجح بطريقة ما.

نعم، «مسألة المرأة» مهمّة جدًا. لأن الأمر يتعلّق بصورتنا عن الله وعن الإنسان. يتعلّق بإزالة كل خلل وتشويه في هذه الصورة وتصحيحه. ليرحمنا الله ويُعِنّا في هذه المهمّة، لأن الصور الخاطئة متجذّرة بعمق لا يُتصوّر، وتبدو لكثيرين فوق ذلك حقيقة إلهية. مع أنها سلوك عالمي. إنها روح العصر، لا روح القرن الحادي والعشرين في جزئنا من العالم، بل روح القرنين العشرين والتاسع عشر الماضيين.

إن أردنا نحن الرجال أن نحبّ نساءنا كما أحبّ المسيح الكنيسة (أفسس 5: 25)، فإننا سنُخرجهنّ بالمحبّة من هذا الدور الخاطئ التمييزي، ونفسح لهنّ المكان الذي يحقّ لهنّ في نظام الخليقة الذي وضعه الله ونحرّره لهنّ.

فمسألة المرأة هي في عمقها مسألة الرجل. نحن الرجال يجب أن نضع أنفسنا موضع التساؤل! فمن المسؤول عن القراءة الهرمية، والأبوية أحيانًا، للعهد الجديد؟ **لقد استولى الرجال على السيادة في تفسير الكتاب المقدس، ويظنّون أنه اختصاصهم الخاص بهم وحدهم. يا له من غرور.** إن مواهب الروح لا تُوزَّع بحسب الجنس. وبسبب هذا السلوك نُسيت مواهب لا تُحصى لدى النساء، وقُمعت وعُطّلت وأُغفلت وكُبتت. وإطفاء الروح (1 تسالونيكي 5: 19) ليس أمرًا هيّنًا حقًا. فالرجال هم الذين يقودون الكنائس ويحدّدون مسارها – وليس للنساء رأي في ذلك، وإن كان فبصورة غير رسمية عبر أزواجهنّ، الذين لن يعترفوا أبدًا في دائرتهم القيادية بأنهم يتّبعون رأي زوجاتهم.

ما لا أسعى إليه

لا يتعلّق الأمر بتحديث الكنيسة (فالأمر لا يتعلّق بالقاعات والمباني)، ولا بمواكبة العصر. **الأمر يتعلّق بالأمانة ليسوع، وهذه هي الأمانة للكتاب المقدس!** لا تحديث، بل إصلاح في مسألة المرأة، إن جاز لي أن أستعمل هذه الكلمة المشكوك فيها، «مسألة المرأة»، للمرة الأخيرة على الإطلاق.

لا يتعلّق الأمر بالفوز في نقاش لاهوتي. فالموضوع لا يصلح لذلك، لأن الناس (ولا سيما الأخوات في الرب) يتأثّرون به مباشرة، ولأن كل رأي يطبع الحياة بقوّة، في الكنيسة وفي ملكوت الله وفي الزواج والعائلة.

ومع ذلك، فإن النقاش وحده، والاعتراض وحده، والخطاب النبوي وحده، هو ما يمكن أن يحرّك هذا الموضوع من جديد. فمن دون حوار وجدال بنّاء سيبقى كل شيء هنا على حاله.

سبب للانفصال؟

يدفع ارتفاع منسوب العواطف في هذه المسألة إلى تصرّف سريع وحاسم، ينتهي غالبًا بانفصال وانقسام وشقاق. فبالنسبة إلى بعضهم يُتجاوز حدّ إلهي لا وجود له بالنسبة إلى آخرين. فماذا الآن؟

يمكن احتمال التوتّرات لبعض الوقت، لكن لأن هذه المسألة تحمل الكثير بالنسبة إلى الطرفين، فلن يمكن في النهاية السير معًا. إلا إذا استطاع المرء أن يحتمل ما هو معتاد في كنيسة ما. نعم، الله أيضًا يحتمل الكثير، أكثر مما نستطيع أن نتصوّر، من دون أن يستحسن الشرّ.

ولذلك على كل واحد أن يقرّر بنفسه. وفي رأيي من الصعب أيضًا الاتفاق في هذا التوتّر على طريق وسط يتقارب فيه الطرفان، بقدر ما يستطيع كل منهما أن يبرّر ذلك.

اعذروني إن لم أستطع أن أقدّم حلًّا في هذا الموضوع. فالانفصالات سيّئة في الغالب، لكن التسويات قد تكون كذلك أيضًا.

على النساء أن ينهضن

هناك أمور في الحياة لا يستطيع المرء إلا أن يفعلها بنفسه. لا يستطيع أحد أن يفعلها عنّا. على النساء أن ينهضن ويتبيّنّ طريقهنّ ويخرجن من خضوع أُسيء فهمه. ففي الكنائس الكبرى توجد نساء استيقظن وأدركن أن في مسألة الجنسين خللًا كبيرًا. ويمكن للمرء أن يفكّر في هذه الحركات كما يشاء، لكنني أقول مع هوشع 8: 7: **«إنهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة».**

Nice Girls Don’t Change the World – جملة صادقة (الفتيات المهذّبات لا يغيّرن العالم؛ وهذا عنوان كتاب للين هايبلز (Lynne Hybels)، 2005). لقد تجمّد هذا الموضوع وصار حقيقة لا تُمسّ، إلى حدّ أن مكبّر صوت للنهوض ضدّه أمر في محلّه تمامًا. ففي حقائق مسيحية أخرى تُعتبر متعلّقة بالخلاص يُصرخ أيضًا بصوت عالٍ، أليس كذلك؟

والخيار الآخر هو أن يبقى كل شيء على حاله. ثم نضطرّ في ذلك اليوم العظيم، أمام مجده ووضوحه وحقّه، إلى أن نكتشف أننا أخطأنا، كلا الجنسين. الرجال بمعارفهم، والنساء بقبولهنّ هذه الحقائق التي يُزعم أنها كتابية. عندئذ تكون فرصة كبيرة قد ضاعت وانقضت، إلى الأبد.

لا يجوز للرجال ولا للنساء أن يكونوا جبناء الآن! فالدفاع عن الحق يكلّف دائمًا شيئًا. **لولا أن كثيرين من المسيحيين والمسيحيات الشجعان نهضوا مرة بعد مرة في تاريخ الكنيسة بشجاعة وسبحوا عكس التيار، لانهار كل شيء.** ونحن نعرف هذا جيدًا. فكلّ حركة وتيّار في المسيحية، ونحن ننتمي إلى واحد منها، بدأ بنساء ورجال شجعان مصلّين.

في الآتي والآن

في الأبدية لن يلاحقنا هذا الموضوع. لن تكون هناك عواطف ولا اتهامات ولا افتراءات. سيكون الرجل والمرأة ببساطة كأخ وأخت، وستصير الهرمية والخضوع من طرف واحد تاريخًا. ماضيًا من عالم ساقط ونظام خليقة مضطرب.

فلنعش منذ الآن، بقدر ما يتعلّق الأمر بنا، حرية هذه الخليقة الجديدة وقوّتها، الخليقة التي صرناها في المسيّا القائم من الأموات والمُمجَّد!